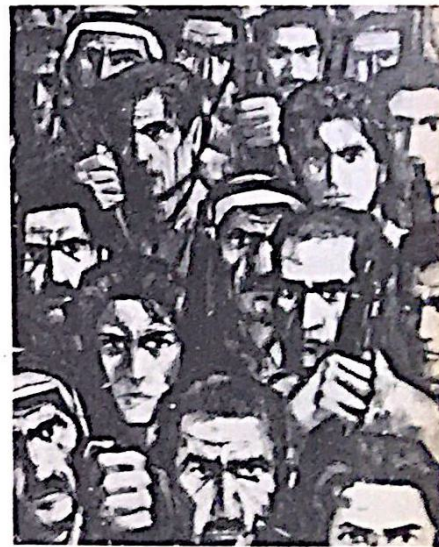


ترجمة خاصة عن الألمانية

حول أعمال الرسّام الفلسطيني اسماعيل شموط "الرسم بالنسبة لي صرخة"

كارين بردانز (مجلة "المدبر كونست" - مجلة الفنون التشكيلية في جمهورية ألمانيا الديمقراطية - عدد ٢١٢٨ - حزيران ١٩٧٢)

بعد فضائه فترة طويلة من الزمن في أحد مخيمات النازحين في غزة . وقد سيطرت مرارة وضع محيطه المباشر على لوحاته « عندما اشتريت ورقا ولقما ، كان أول ما رسمته هو خيمتنا في خان يونس . لقد رسمت طوابير النازحين الطويلة ، ينتظرون الحصول على تموينهم من الحليب المجفف ، كذلك التلاميذ الذين يحمل كل منهم سمكة مجففة ، وزعت عليهم في المدرسة ، ولكنهم فضلوا أخذها معهم إلى منازلهم ليقسمونها مع بقية العائلة . »



وقد تشجع شموط على اثر نتيجة معرض صغير له في غزة على تكلمة عمله فبدأ في دراسة الفنون في عام ١٩٥١ في القاهرة حيث اكملها في عام ١٩٥٤ في روما . وقد اعطته اقامته في روما المجال لكي يتفاعل معها الفنون الأوروبية واصبح كل من ريمبرانت وجويا وفان جوخ مثله الأعلى . ولكن اسماعيل شموط لم ينس بالمرّة - لا في القاهرة ولا في روما - من أين هو قادم . لقد فهم نفسه دائما كحمّام عن النازحين الفلسطينيين الذين هو منهم . وتعتبر اعماله مرآة بتعكس فيها الوضع المادي والفكري لمخيمات النازحين .

وتجد في لوحاته « الى أين » (١٩٥٢) و « ستعود » (١٩٥٤) مشاهد حية لما عاينه اسماعيل شموط أثناء ما كان عمره ١٨ عاما ، حينما طرد المختلون الإسرائيليون عائلته من وطنها مثلهم مثل جميع العائلات العربية في اللد ، حيث انطبع طابور اليتامى في ذاكرته التي لا تترك الاطباعات الغليظة آثارها على وجه الطفل التي تعبر عن الجدية والأمل في لوحة « برد وجوع » (١٩٦١) .

لا توجد لوحة اخرى تعبر عن تعاسة وبأس اللاجئين الفلسطينيين بهذا الشكل مثل « ذكريات وناز » (١٩٥٦) . حيث ينطق العجز النحيل ذو الجسد المنحني باليأس وعدم الشجاعة ، بينما يترك الطفل النائم في الخلف بريق من الأمل عند مشاهدة اللوحة . وتمثل لوحة « فلسطين على الصليب » والتي رسمت في ١٩٥٨ ، نقطة انعطاف من عدة نواحي في إنتاج الفنان . أمل متجدد وتصميم على الكفاح ومعرفة بقوة الشعب المكمونة

على ذلك طبع اعمال شموط من ذلك الوقت بشكل ماحوظ . وقد تسبب موقعه الجديد في تغييرات عديدة في طرقة العينة للتعبير . فبدلا عن الألوان الباهتة الحزينة ، حلت الآن ألوانا دافئة قوية واحيانا فاتحة وبراقة . لقد عكست اعمال شموط السابقة مشاهد من حياة النازحين ، لحظات عاشرها من الواقع ، أمثلة واقعية للوضع وقتذاك .

ولما كان الكنان لا يريد - وفقا لمعتمته الجديدة - ان يهر العالم باظهاره مأساة شعبية فقط بل يريد أيضا الحدوث عن كرامة هؤلاء الناس وعن كفاحهم في سبيل حقوقهم وكفاحهم ضد باسهم .

ولما كان يرغب في المشاركة في صنع وعي جديد للفلسطينيين ، فاضطر اذا الى معالجة موضوعات جديدة باحسا عن وسائل تعبير اخرى . لا زالت الحياة في المخيمات بنفس الصورة المساوية . ولكن يتمكن الفنان من اختراق التشور والتعطل في قضية الشعب الفلسطيني فقد استخدم الفنان كثيرا من المرات تشكيلات ذو رمز مغالي فيه ، وذلك مثل لوحته « فلسطين على الصليب » .

في فترة مبكرة رسم « ربيع فلسطين » (١٩٦٠) ، مشاهد من فلسطين قبل ١٩٤٧ - ١٩٤٨ واستخدم فيها الألوان الفرجة المشعة معبرا عن ذكريات اعوام السلم في الوطن كرمز لآمال المستقبل ، ولكنه هنا حاول ان يعطي الماضي شكلا قويا مثابلا . لم يتمكن شموط من تخفي حدود الفكر الثوري القومي الذي تظهر آثاره هنا وايضا في محاولته التركيز على المقاومة المسلحة .

ولكن لم يكن الغدائين وسلحهم هم الرموز الوحيدة للكفاح والامل بالنسبة له . لقد علمه حبه لوطنه وارتباطه الشديد بآبائه شعبه ان يبقى في قوة الشعب . فتجد قوة المقاومة في الفتاة ذات الكبرياء مثل في لوحات « عروسان على الحدود » (١٩٦٢) وفي « ثلاثة حواديت » (١٩٧١) .

وتعتبر لوحته « نحن بخير - طمئنونا عنكم - قطاع غزة » (١٩٦٦) ولوحته « حتى الفجر » (١٩٦٤) من احسن اعمال شموط واوقاها في السنوات الاخيرة . ويعتقد ان هناك علاقة بين عنوان « لوحة نحن بخير طمئنونا عنكم » وبين النداءات التي ترسل عن طريق البث الاذاعي والتي يتمكن النازحون من خلالها الاتصال بديهم . ويظهر التحم المرير في عبارة « نحن بخير ... » بينما تطل في الخلف مشاهد المنازل المحطمة والتعبيرات الحزينة لوجوه الستة اشخاص . لا حركات عمل ، فقط وجوه ناطقة ورموز متفرقة دلالة عن أحداث الماضي والمستقبل : نظرة العجزو المستعطفة ونظرة المرأة المليئة بالانهاج ، الفتاة ضاغطة على شفتيها ونظرتها الفاضحة مما يظهر قسوة وحدة وجهها ، الفتى الحاد حاملا الكتاب بين يديه ، وجوه الأطفال غير المحددة الذين سيفهمون مؤخرا ثم يبدؤون العمل على اساس فهمهم هذا .

ان هذا الصدام يرغم المتفرج على التعرف على هذه الوجوه . نحن بخير - ذلك يعني ايضا : نحن لم نتعب من القتال . المرء يفهم تحت كل ذلك : سوف يغفل المختلون امام هذا الحاجز .. حاجز المرارة والكرامة والصمود .

يقول شموط ان الرسم بالنسبة له صرخة . « اصرخ من كل قلبي لكي يسمع العالم اجمع صوت فلسطين . كما أنني اعتقد ان طراز الواقع الاكاديمي ، الذي تفهمه قطاعات واسعة من الجماهير يوصلني الى الناس بسرعة . »

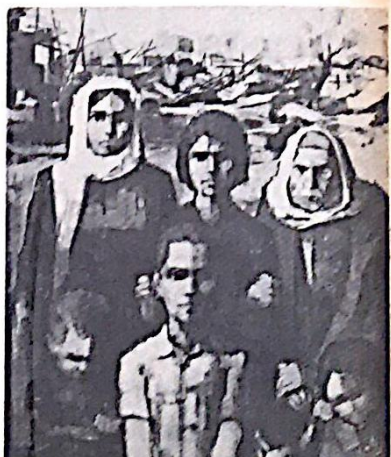


ان لوحة « النساء المنتظرات » (١٩٦٥) تظهر على سبيل المثال بوضوح جهود شموط للمضي في عقب التراث الفني العربي منذ النصف الأول من الستينات . وقد طبعت مؤشرات محاولة ادماج الشعب الفلسطيني في تصوير كفاحه في أعمال « الكرامة » (١٩٦٦) وفي « ثلاثة حواديت » (١٩٧١) .

اعمال شموط يسيطر عليها الايقاع الزخرفي التخطيطي ورغم ان ذلك نجد مجالا واسعا لوجه الفتاة المعبودة في الامام والذي يرتبط بشكل انسجامي مع خلفية اللوحة وذلك بواسطة قواعد تشكيلية على شكل وحدات زخرفية . ولا تشكل استعمال هذه المبادئ التشكيلية على شكل الوحدات الزخرفية بالنسبة لاسماعيل شموط هدف في حد ذاته . ولكن ذلك العمل يعطى له الامكانية يعبر عن الوعي المتزايد لدى الشعب الفلسطيني .

لقد حصلت اعمال اسماعيل شموط - الذي يبلغ الآن من العمر ٤٣ عاما - على اعجاب وتقدير في العالم العربي وفي خارجه . وقد عرضت لوحاته في معارض في غزة ورام الله وايضا في بيروت والقاهرة وموسكو وتيويوتوك ولندن وصوفيا . كما تعرض زوجته الرسامة تمام اكحل شموط اعمالها معه سويا . وقد حصلت هذه الفنانة التي ولدت في عام ١٩٢٥ في باقا على الدراسة الفنية ايضا في القاهرة . كما تناولت اعمالها بشكل متوسع كفاح الشعب الفلسطيني .

وقد انتخب اسماعيل شموط في ١٩٧١ رئيسا للاتحاد العام للفنانيين التشكيليين العرب الذي تكون حديثا . ولا يعني ذلك تقديرا لاعماله الفنية فقط ولكن في الوقت نفسه احتراماً للدور الذي لعبه في تطوير الفن العربي التشكيلي .



الى غسان كنفاني

سافطع راسي / لانني ارفض صمت الحروف
اعبر من المحيط الى المحيط ،
ولتحفني موجة عاشقة
اعبر من الصحراء الى الصحراء
ولتحفني حصاة عاشقة
اعبر من الصفاة الشرقية الى الصفاة الغربية
ولتحفني عيون الجنود المصيبة
ندفنتي الخطيئة !!
اصبر العجاج
ولحظة نار

وصبر / اما الموت - الانسان ..
بعضك صرت !
هعب
فادر ان اغمر زمن اللغة
ان ابدل تاريخ الفصيدة ،
واجلب الرياح العنيدة !
سنبه الهذيان / بيذا وجهك العربي يستعيد
صعاده /
والسرق يدوي بغير عبادة
نرى/هل ينجي العصول المصاوه !..
عبرك اليك
عبرنا جميعا / ضحكتنا ، شربنا - وعدنا
جميعا -

وعدت
وكان المساء حزينا
وكننت حزين
نرى هل « تبعت الميسن ! »
وتنطق هذه الحجارة
ان عسرك
عصر الشراة
فادر ان نلغم الووف
بعيد تكون الحضارة ! ..
طراز حمادة - الهرمل -

بعدك الموت ،
يصنع عن الحضور
بصير الغياب آبه /والرجيل لقصية ..
ونشبه الرماد / يبدأ الورد
صوتك يسكن الووف
ولا ينشئ الووف ..
حين ولدت ، صارت اللغة طفلا ..
وحين رحلت نزل الحرف حزنا ، تحولت
الكلمات طينا

والتراب ، كتبنا عبيده
ابها المرصود بالاجدية ،
ابها العاقب برائحة الحلم
ولون الحقيقة ! ..
صوتك يخترق جداري
واناسل / كالسلك في المحيط
ياكل بعضي بعضا
انتقل من جسر الى جسر
وتعبرني الانهار
يعبرني المطر والشناة
وتعبرني ، بلادي . وانت ..
- لا نلم وجهك
حين يستفيل الموت
لا نلم صوتك
حيث ينشأ صراخا
لا نلم كلامك
حين نضال الاناشيد غناك العربي
لقد صمت ، وانتهى الرجيل
كل فارس يحمل سيفه ، بصير بطلا ..
كل امرأة شرع نهدها للششم
بصر زوجة اله ،
لا الموت يعرف الحب
ولما الحب يعرف الموت
هذيان هن / حلم / نهر جثون ،
ويبلاد حرف يخضرم اللغة
واللغة بلاد منهوبة

لا تكن الوسيله / ولا تكن الفصيه ،
كن بين الورد والرماد ، نارا ،
وكن بين الارض والسماة ، نجمة ،
وكن بين الحلم واليقظة ، ليلا ،
واهتف !
« فادر بين حين وحين ،
ان ابعت اليتيم ،
فادر ان اغمر العباده
واصر شهاده ..
سنبه الحب / حين يبوء البطل / ولا
يبقى معنى
للتنازل / حين يخلف جسد البطل ،
يبصق الله غير الهواه
ونصر السماة
موطن الموت والخطيئة
وحلم العصول الفصية ..
فناع الصال
فناع المسؤال
نصير الاشارة
نغم بغير وجه الحضارة !
- اهذي ، ولا اعبر اليك
لا تحطني اللغة على كتفيها ..
حين اصير قصيدة ،

يوميًا في لبنان

جريدة النور العراقية

اطلبها من الباعة والمكاتب

أخبار

جهاز جديد للتلفزيون في الاتحاد السوفياتي

تم في الاتحاد السوفياتي تطوير نظام جديد لجهاز التلفزيون . ويبلغ حجم شاشة عرض هذا الجهاز المسمى ارسنون بصفة عشرات الامار الزمعة . ويجري الانتاج بالجملة في ايبوف .. هذا ويبلغ قوة اضاءة هذا الجهاز اربعة اعشار قوة اضاءة اجهزة التلفزيون الاعتيادية .. ويضع النظام الجديد لهذا الجهاز الى محولات صوتية . وستستعمل

فرق عربية الى « مهرجان برلين الفني »

يتضمن برنامج برلين الفني هذا العام والذي يجري في الفترة من ٤ الى ٢١ تشرين الاول للمرة السابعة عشر في عاصمة ألمانيا الديمقراطية ٢٤١ حفلة مسرحية وموسيقية وتقدم مساحر برلين ست مسرحيات لأول مرة . كما يتضمن البرنامج هذه المرة ايضا عددا كبيرا من حفلات الفنانين الاجانب مثل فرقة امية للفنون الشعبية السورية وفرقة مسرح المائة معقد المعرنة لعروض فنية مختلفة وكذلك فرقة كورس الشباب من جمهورية توتانيايا الاشتراكية السوفياتية ولعبة الدمى المشهور